جامعة محمد بوضياف . المسيلة
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم التاريخ
مقياس:علم المخطوط العربي
موجه لطلبة السنة أولى ماستر/ تخصص تاريخ الغرب الإسلامي
د/ عبد الغني حروز

المحاضرة رقم (04):

الوراقة في بلاد المغرب تاريخها و تطورها

مقدمة:

تعد الكتابة معلما هاما من معالم التاريخ الإنساني ولهما المكانة الأسمى، من خلال مراحل تطورها كونها ضرورة من ضروريات حياة الإنسان، كانت بداياتها بالرسوم والنقوش على جدران الكهوف والصخور، وتطورت لتكتب على ألواح فخارية ثم تلاها ميلاد دورق البردي الذي كان بمثابة ثورة حقيقية في عالم الكتابة بعد صناعة الحرف.

بالكتابة وحدها استطاع الإنسان أن يخلد فكره وجهوده على هذه الأرض ويمضي في طريق التطور، معتمدا على جهود من سبقوه وبنى على أساسها صرح حضارته.

وكان للأمة العربية الإسلامية دور في بناء هذه الحضارة بما قدمت من تراث وذلك بما أنتجته من علوم الأولين في حركة الترجمة والتأليف والنشر وهذا ما أدى بجانبهما إلى ظهور مهنة صناعة الكتاب أو ما يعرف بالوراقة ومن هنا نطرح الإشكال التالي:

- ما هي الوراقة؟ وكيف نشأت؟ وكيف تطورت في بلاد المغرب الإسلامي؟

ما دفعنا لاختيار الموضوع هو معرفة وكشف مساهمة المغاربة في بناء المجال العلمي في الحضارة الإسلامية.

I- مفهوم الوراقة:

أ-لغة: ورق الشجر والشوك، والورق من أوراق الشجر والكتاب، الواحدة ورقة وقال أبو حنيفة: الورق كل ما تَبَسَّطَ تَبَسُّطاً وكان له عَبْر في وسطه تنشر عنه حاشيتاه، واحدته ورقة.

وقال ابن سيده: وعندي أن الوراق من الورق، ومنها وَرَقُ المصحف، ووَرق المصحف وأوراقه: صحفه الواحد كالواحد وهو منه.

والوراق معروف، وحرفته الوِراقة، ورجل وهو الذي يُورِّق ويكتب[1].

ب- اصطلاحا: اختلف المؤرخون على تحديد وضبط مفهوم واحد لكلمة الوراقة وابن خلدون وضح ذلك بقوله: "إنها معاناة الكتب بالانتساخ والتصحيح، والتجليد وسائر الأمور الكتابية والدواوين"[2]، يجعلها شاملة للانتساخ والتفسير وسائر الشؤون الكتبية والدواوين وبهذا تندرج فيها صناعة تحضير الرِق وإعداد الورق.

أما أبي حامد محمد العربي فيقول: "والنساخة حرفة النسخ وهي الوراقة وكل من جعل النسخ حرفة يحترفها أو شغلا يشتغل به لنفسه فهو نساخ، وورّاق أيضا".

وابن الحاج في كتابه المدخل يجعلها قاصرة على صناعة الورق، ثم يخصص لكل من النساخة والتفسير فصلا على حدى[3].

والوراقة أخص من النساخة، فالوراق هو الذي يشتري دكانا في سوق الوراقين أو يكتريه، ويلزم هذه المهنة مدة حتى يعرف بها، أما النساخة فهي كلمة عامة تطلق على كل من يقوم باستنساخ الكتب كأن يكون عبدا أو أجيرا يقوم بنسخ الكتب لسد بعض حاجاته المؤقتة[4].

ويرى ابن خلدون أنها من أمهات الصنائع الشريفة في قوله: "... وأما الشريعة بالموضع كالتوليد والكتابة والوراقة..." "الوراقة أحسن الحرف ففيها حفظ للعلوم والمصاحف وكتب الحديث والصنائع"[5].

II-آداب الوراقة والوراقون:

[1] ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد (ت 711ه)، لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير ومحمد أحمد عبد الله وسليم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، د.ت، 6/ 1297.

[2] ابن خلدون عبد الرحمان بن محمد بن محمد (ت 808ه)، مقدمة ابن خلدون، تحقيق: محمد الشامي شركة دار الكتاب الحديث، الجزائر 2016، ص 483.

[3] محمد المنوني، تاريخ الوراقة المغربية صناعة المخطوط المغربي من العصر الوسيط إلى الفترة المعاصرة، ط1، كلية الآداب و العلوم الإنسانية، الرباط، 1991، ص 11.

[4] بدر الدين كعباني، "تطور سندات الكتابة ودورها في ترقية الوراقة"، جامعة قسنطينة، ص 544.

[5] ابن خلدون، المصدر السابق، ص 500.

- من حق الوراق ألا يكتب شيئا من الكتب المضلة ككتب أهل البدع والأهواء.
- ألا يكتب الكتب التي لا ينتفع بها مثل سيرة عنترة وغيرها من الموضوعات المختلفة التي تضيع الوقت وكذلك كتب المجون مما يهيج على المحرمات.
- إذا نسخ شيئا من كتب العلوم الشرعية فينبغي أن يكون على طهارة مستقبل القبلة طاهر البدن والثوب، وحبر طاهر، ويبتدئ كل كتاب بكتابة بسم الله الرحمن الرحيم، وإذا كان مبدوء بخطبة تتضمن حمد الله تعالى والصلاة على رسوله الكريم... [1]

III- أصناف الوراقين:

من أصناف الوراقين نجد: الوراقين المستنفرين، والوراقين المزخرفين الوراقين المخرجين للمؤلفات، وراقين في جوانب منوعة، وراقين من خلال منتسخاتهم، وراقين من طراز خاص[2].

IV- نظرة العلماء والمؤرخين للوراقة:

تعتمد هذه المواقف من الوراقين على نظرة العلماء والمؤرخين لهم فمنهم من وضعهم في مكانة التخصص المهني والاعتراف بفضله على التراث، ومنهم من لم التقدير من علماء ومؤرخين، وقد كانت حوانيت الوراقين مجال آخر أكثر من أنها محلات للوراقة مما حدا بالشاعر القول:

مجالسة السوق مذمومـــــة ومنها مجالـــس قد تحتسب
فلا تقرين غير سوق الجياد وسوق السلاح وسوق الكتب
فهاتيك آلة أهل الوغـــــى وهـــاتيك آلـــة أهل الأدب

ويقول الشاعر أبو محمد بن عبد الله بن محمد البكري في وصف الوراقة:

أما الوراقة فهي أنكد حرفـــة وأوراقها وثمارها الحرمـــان
شبهت صاحبها بصاحب ابرة تكسو العراة وجسمها عريان [3].

[1] علي بن إبراهيم النملة، الوراقة وأشهر أعلام الوراقين، دراسة في النشر القديم ونقل المعلومات، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1995، ص 40.
[2] محمد المنوني، المرجع السابق، ص 353- 355.
[3] علي ابراهيم النملة، المرجع السابق، ص 36- 37.

وقد اشتغل بالكتابة جمهرة من العلماء والشعراء وغيرهم كثير ومنهم من لقب الوراق. ومن جانب آخر هناك من الوراقين لم يكونوا من الثقات وأهل العلم والفضل، وكان من بين المحترفين منهم من يتصف بالمبالغة والكذب والاختلاق[1].

المبحث الأول: نشأة الوراقة.

المطلب الأول: نشأة الوراقة في المشرق.

كان منطلق حرفة الوراقة في الإسلام يدور حول نسخ القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وهنا بذكر وراقان يعتقد أنهما أول من اتخذ من الوراقة حرفة ينالان عليها أجرا الأول مالك بن دينار* والثاني خالد بن أبي الهياج**، كانا قد تخصصا في كتابة المصحف في البداية، واصطلح على النساخ الوراقين الذين يكتبون القرآن الكريم في المصاحف بأنهم مصحفيون، وتبدأ قصة الوراقين من أول عهد الإسلام، حيث اتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم كتبة للوحي فهؤلاء الصحابة هم الوراقين الأوائل إلا أنهم كانوا ينسخون بلا أجر، لذلك اكتسبت هذه الحرفة في بداية انطلاقها شيء من التقدير لأنها أضحت هي الوسيلة لانتشار كتاب الله في الأمصار الإسلامية الجديدة، فالتسمية الأولى للوراقين كانت نسبة لنسخ المصاحف ثم انطلق الناس إلى العلوم الأخرى وبدأوا ينسخونها ويورقونها، فكان من المناسب أن ينتقل المصطلح إلى الوراقين لتكون كلمة محايدة تتحمل المحاسن والمساوئ التي تلحق بأي مهنة دون نسبها إلى المصحف ذي القداسة.

فالبدايات الأولى للوراقة كانت متصلة ببيع الورق والأقلام وأنواع الحبر والمداد وكل ما له صلة بالكتابة[2].

وبعد القرن (3هـ/ 9م) المحطة التي عرف فيها المسلمون أسرار تلك الصنعة ونقلوها من سمرقند إلى بغداد عن طريق بعض الأسرى الصينيين، ويذكر ابن خلدون أن الفضل بن

---

[1] عبد الستار الحلوجي، المخطوط العربي، ط1، مكتبة المصباح، السعودية، 1979، ص 127.

* مالك بن دينار: (131 ه): من كتاب المصحف بالأجرة مولى أسامة بن لؤي بن غالب ويكنى بأبي يحيى (أنظر: محمد المنوني، المرجع السابق، ص 39).

** خالد بن أبي الهياج من أبرز كتاب المصاحف وهو الذي كتب الكتاب في قبلة مسجد النبي صلى الله عليه وسلم بالذهب من والشمس وضحاها إلى آخر القرآن (أنظر: محمد المنوني، المرجع نفسه، ص 39).

[2] علي بن إبراهيم النملة المرجع السابق، ص 18- 19.

يحي البربكي* هو أول من أنشأ أول مصنع للورق في بغداد فازدهرت بعلومها وآدابها ووصلت فيها الحضارة أوجها، وانتشرت مصانع الورق وحوانيت الوراقة في أماكن متعددة[1].

يذكر ياقوت الحموي "أن محلة دار القز وهي محلة كبيرة ببغداد في طرف الصحراء فيها يعمل الكاغد[2].

ويشير ابن خلدون واليعقوبي أن حوانيت الوراقين برزت وكثرت في الأمصار العظيمة، كربض وضاح وببغداد بلغت مئة حانوت، وسوق الوراقين به درب للقراطيس (سوق الورق) وبدمشق والقاهرة بعض الأسواق بقيت معروفة لزمن قريب جدا كسوق المسكية في دمشق بالقرب من المسجد الأموي وهو امتداد لسوق الحميدية، وسوق الازكية وفي حواضر إسلامية أخرى....

ولم تكن هذه الحوانيت دور نسخ فقط بل كانت مجالس للعلماء والشعراء وملتقى للطبقات المثقفة [3].

المطلب الثاني: ظهور الوراقة في بلاد المغرب.

دخل الخط العربي لبلاد المغرب مع الفتح الإسلامي، ويبدو أنه أخذ بالتحسن من أوائل القرن الثاني للهجرة وكان صالح بن طريف البربري البرغواطي محسنا[4] في الخط العربي، وكان ظهور نحلته في عام (127هـ/ 744م)، ويظهر أن الوراقة بدأت تزدهر في فاس أواخر القرن الثالث هجري أيام الإمام يحيى الإدريسي* (292- 305هـ) فقد أثبت البكري أنه كان ينسخ له عدد من الوراقين إلا أنه لم يعرف واحد منهم، ولم يتم العثور على شيء من منتسخاتهم، وكانت وراقة المغرب في هذه المرحلة دون خط أندلسي وكان أهلها أحدق الناس في الوراقة خطوطهم مدورة.

* الفضل بن يحيى البرمكي بن جامامش بن بشتاسف البرمكي وزير هارون الرشيد وحامل خاتم السلطة توفي 808م (أنظر: موقع ويكيبيديا:07- 03- 2019 سا:20:20.

[1] سعيد خير الله، الوراقة والوراقين في الحضارة العربية الإسلامية، ط1، الانتشار العربي، لبنان، 2011، ص 27.

[2] ياقوت الحموي بن عبد الله الرومي (ت 626ه)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1977، 309/3.

[3] علي بن إبراهيم النملة، المرجع السابق، ص 31.

[4] محمد المنوني، المرجع السابق، ص 17.

والغالب أن الخط المغربي في بادئ الامر مطبوع بطابع مشرقي محض تأثر بكتابة الفاتحين العرب بما فيهم الإمام الإدريسي الأول وحاشيته المشرقية ثم بدأ يميل إلى الكوفي والنسخي المستعملين معا في هذه الفترة بالقيروان[1].

وقبل العصر المرابطي لا يعرف أي نموذج للخط النسخي على عكس الكوفي الذي بقي به نموذجان، الأول كتابات موجودة من نقود الإمارات الإسلامية التي ضربت بالمغرب في هذه العصور الغامضة والثاني كتابة فوق أحد أقواس جامع القرويين بفاس مما أمر به الإمام داود بن إدريس الثاني عام 263 هـ/ 877 م وكتابه ورد فيها اسم إدريس الثاني على مرآة صينية من البرونز.

وفي هذه الفترة كانت النساخة على الرق شائعة في الغرب الإسلامي واسم أول ناسخ مغربي هو الفقيه المالكي الكبير أبو عثمان سعيد بن خلف الله بن إدريس بن سليمان البصري السيتي ويعرف بالرياضي قيل عنه "أنه كتب كثيرا من الدواوين وقل ما يرى كتابا مشهورا في المذهب إلا وقع إليَّ بخط يده" وهو لا يعلم تاريخ ميلاده ولا وفاته إلا أن وفاة أشياخه يفيد أنه كان يعيش خلال النصف الأول من المئة الخامسة[2].

وظل المغرب الإسلامي وفيا للرق في الكتابة وكان التحول في استخدام الورق متأخر فيه حتى القرن الخامس الهجري وبخاصة المصاحف المغربية التي ظلت حتى وقت قريب تكتب على الرق طلبا لطول البقاء[3].

المبحث الثاني: تطور الوراقة في بلاد المغرب.

المطلب الأول: العصر المرابطي والموحدي.

أ- العصر المرابطي:

---

* يحيى الإدريسي بن محمد بن إدريس تولى حكم المغرب بعد وفاة عمه عام 848 م وخامس سلطان بالمغرب (أنظر موقع المعرفة، 7/ 3/ 2019، س 21:20.

[1] محمد المنوني، المرجع السابق، ص 17- 18.

[2]

[3] بدر الدين شعباني، المرجع السابق، ص 543.

في ظل العصر المرابطي طغى الخط الاندلسي على الخط القيرواني، وظهر خطاطون على الطريقة الاندلسية بين مغاربة والأندلسيين وزاحم الخط الأندلسي الخط القيرواني وحدثت المنافسة بين الخطين[1]، وظهر على لسان أديب أندلسي يعارض أديب من العدوة في هذا الصدد وذم الخط الاندلسي أبو الفضل يوسف ابن النحوي القلعي نزيل فاس (ت 513 هـ) ورد عليه أبو العباس ابن البراء في قطعة ميمية من سبعة أبيات وقد عرفت أيام يوسف بن تاشفين انتشار الورق حيث كان بفاس 104 معمل للكاغط مما يدل على انتشار الوراقة (الكتابة) على الورق إلى جانب الرق في المغرب المرابطي، ويذكر بمدينة فاس مركز للوراقة لأبي عبد الرحمان بن محمد المعروف بأبي الصقر الانصاري البلنسي (ت 523 هـ) حيث سكن مدينة فاس والتزم في حانوت بغربي جامعها.

أما الوراقون الذين احترفوا بالنساخة منهم لدينا خمسة فقط وهم:

- عبد الملك بن عبد العزيز بن وليد اللخمي الشاطبي.
- يحيى بن محمد بن عباد اللخمي.
- أبو بكر بن تسقوط.
- عياض بن موسى بن عياض.
- ومن الوراقين الذين استوطنوا خارج المغرب أبو العباس أحمد بن عبد الله بن أحمد بن الخطيئة اللخمي نزيل مصر[2].

ب- العصر الموحدي:

تعتبر الفترة الموحدية العصر الذهبي للوراقة المغربية حيث نبغ وراقون وتفنن بعضهم في تنويع الخطوط وتفريعها إلى عدة طرائق مغربية ومشرقية كما برع فيها مزخرفون ومجلدون ومسفرون، كما ازدهرت صناعة الورق.

ومن بواعث نهضة الخطاطة أن الخلفاء الموحدين أنفسهم كان لهم اهتمام خاص بها وكانوا يستأدبون لأولادهم معلمون وخطاطون، فقد كان عبد الله بن سليمان بن خلدون داود

[1] ابن خلدون، المصدر السابق، ص 501.
[2] محمد المنوني، المرجع السابق، ص 21- 22- 24.

بن حوص الله الانصاري (ت 612 هـ) كان حسن الخط على قول ابن الأبار "أنه كان حسن الخط واستأدبه المنصور لبنيه"، كما أن الخلفاء الموحدين أنفسهم كانوا يجيدون الكتابة بأكثر من خط ويوقعون المنشورات بيدهم بخط الثلث المشرقي وبالمداد الأحمر المعروف لهم[1].

ويذكر أن المربطي الموحدي كان يكتب بثلاث خطوط كما أن بلاطه يتوفر على ديوان للناسخين ويشرف عليهم رئيس مسؤول، كما عرف في عهده أول مركز عمومي للنساخة، وهو خزانة مدرسة العلم بالجامع المرتضي بمراكش.

أما عن صناعة الورق فكان في فاس لوحدة 400 معمل لإنتاج الورق أيام يعقوب المنصور (595 هـ) وابنه محمد الناصر، وكان مركز هذه المعامل في فاس يسمى بالكفادين عند حي باب الحمراء، وخربت هذه المعامل جراء المجاعات والفتن التي اجتاحت المغرب أواخر هذا العصر.

ومن الملامح التي استمرت في فاس عن مهنه الوراقة باب الوراقين في جامع القرويين ودكاكين الرقاقين أسفل باب الجنائز وفي سبعة زنقة تعرف بزقاق الوراق[2].

وازدهرت صناعة التفسير ورسالة ابن الطفيل التي يصف فيها احتفال عبد المؤمن الموحدي بكسوة المصحف العثماني بعد نقله من قرطبة إلى مراكش بقوله "...فحشروا له الصناع المتقنين ممن كان بخضرتهم العلية وسائر بلادهم القريبة والقصية، فاجتمع لذلك خذاق كل صنعة ومهرة كل طائفة من المهندسين والصواغين والنظاميين والحلائيين والنقاشين والمرصعين والنجارين والزواقين والرسامين والمجلدين وعرفنا البنائين...." [3] واسم أحد هؤلاء الصناع عمر بن مرجي الاشبيلي أحد النظاميين للجواهر في المصحف العثماني، وأحد المسرفين الموحدين أبو عمرو بكر بن إبراهيم بن المجاهد اللخمي الإشبيلي نزيل فاس (ت 628 هـ).

[1] محمد المنوني، المرجع السابق، ص 27- 28.
[2] المرجع نفسه، ص 31- 34.
[3] علي إبراهيم النملة، المرجع السابق، ص 40.

من أدوات الكتابة المحبرة والسكين، المقرض، الأقلام ومن الولع بالكتابة وتطور الوراقة قد قيل الشعر في بعض الأدوات مثل وصف دواة إبنوس بقول أحد الشعراء:

سوداء صفراء الحلي كأنها ليل تطرزه نجوم تزهر

وقيل في قلم كتابه ما يلي:

حملت بأشرف من نجار حليها تخفيه أحيانا وحينا يظهـر

خرسان إلا حين يرضع ثديهـا فتراه ينطق ما يشاء ويذكر

كما كان هناك صفيحة من ذهب مستطيلة تشبه المسطرة يستعملها الخلفاء الموحدين عند قراءة المصحف العثماني الشريف ويصفحون بها أوراقه.

نجد من أشهر النساخين في العصر الموحدي:

- محمد بن أحمد بن عبد الرحمان ين صقر الأنصاري المراكشي (590 هـ)، كان جيد الخط سريع الكتابة تعيش بها دهرا من الزمن.
- علي بن يحيى بن سعيد الأنصاري التلمساني لم يذكر تاريخ وفاته، كان حسن الخط ويكتب بالخط المشرقي والمغربي[1].
- الخليفة الموحدي أبو حفص المرتضي (665 هـ)، كان خطاط بارع في الكتابة المصحفية وفي غيرها.

ومن النساء نجد ثلاث وراقات أندلسيات.

- سعيدة بن محمد بن فيرة الأموي التطليلي.
- كان لها أحت أصغر منها لم تذكر المصادر اسمها، كانتا تشغلان بالوراقة.
- ورقاء بنتان الحاجة الطليطيلية (ت 540 هـ) خطاطة بارعة سكنت بفاس.

المطلب الثاني: من العصر المريني إلى العصر السعدي.

أ- العصر المريني والوطاسي:

[1] محمد المنوني، المرجع السابق، ص 32- 34- 38.

يقول ابن خلدون: "... وحصل في دولة بني مرين بالمغرب الأقصى لون من الخط الأندلسي...." ما يدل على أن الخط المغربي أخذ شكله النهائي وصار متميزا عن الخط الأندلسي، كما نجد في المقدمة ابن خلدون يتكلم عن انحطاط الوراقة بالمغرب في قوله: "... وصارت الأمهات والدواوين تنسخ بالخطوط البدوية، تنسخها طلة البربر صحائف مستعجمة برداءة الخط وكثرة الفساد والتصفيح...." وفي هذه الفترة كان هناك ثلاث أصناف مغربي حضري– مغربي بدوي– أندلسي.

ثم استقر الخط المغربي على خمسة أنواع:

- **الخط المبسوط:** نجده في المصاحف القديمة وبه طبعت المصاحف المغربية الشريفة.
- **الخط المجوهر:** وهو أكثر استعمالا من نماذجه المراسيم السلطانية والرسائل الخاصة والعامة.
- **الخط المسند أو الزمامي:** يستعمل في الوثائق العدلية والمفيدات الشخصية.
- **الخط المشرقي المتمغرب:** المقتبس من الكتابة المشرقية مغربته يد المبدعين وتصرفت فيه أذواقهم وبه تزخف عناوين الكتب وترسم به تراجمها وخواتمها ويكتب عادة بحروف غليظة متداخلة وكثيرا ما يكتب بماء الذهب ومن نماذجه الوفقيات المنقوشة عن اللوحات الرخامية التي لا تزال معلقة على جدران المدارس بفاس ومكانس وسلا والكتابات والنقوش على بعض الثريات[1].
- **الخط الكوفي:** نجد مكتوب على ورق الغزال والمصاحف والكتب القديمة ومنقوش على الحجر على أبواب المدن وعلى جدران المدارس والمساجد العتيقة ومدافن الملوك والأمراء والصلحاء.

في هذه الفترة تركزت الوراقة في المغاربة أكثر ونبغ وراقون مصحفيون للكتب العلمية وتخصص بعضهم في مادة معينة.

- ظهر مصحفيون مغاربة مختصين صححوا الكثير من الكتب العلمية.

[1] محمد المنوني، المرجع السابق، ص 46- 47- 67.

- أنشأ المرينيين خزائن عمومية ومراكز للانتساخ والتصحيح.
- تجلي التفسير في هذه الفترة في تفسير مصحف يوسف المريني.
- تجويد ونقش في أدوات الكتابة خاصة في البلاط.
- المعلومات عن الورق المحلي مجهولة خلال هذه الفترة فيما يوجد الورق الإفريقي، وكانت المصاحف تكتب على الرق حتى سنة (821 هـ).

ب- العصر السعدي:

يعتبر العصر السعدي عهد تجديد شمل العديد من مظاهر الحياة، وقد استفادت الوراقة من هذا الإصلاح فبعثت أمجادها وابتكرت فيها جملة من الأساليب مثل:

- لأول مرة تم إنشاء مدرسة لتلقين الكتابة، وإنشاء درس لتعليم الخط في جامع المواسين بمراكش بمشيخة الخطاط البارع عبد العزيز بن عبد الله السكاني.
- تنظيم حرفة النساخة واستحداث مشيخة لها وولع المغاربة بحرفة النساخة.
- الاشتغال بحرفة النساخة حتى داخل السجون مثل مخطوط ابن عظوم القيرواني "مختصر تنبيه الأنام".
- نشاط عملية استخراج المؤلفات الهامة من مسوداتها.
- شاع في هذا العصر انتساخ الأصول والكتب النادرة والمؤلفات المهمة ومجموعة من هذه المؤلفات لا تزال في نسخته السعدية الوحيدة[1].
- وجود تصانيف من الكتب في الطب والهندسة.
- العمل على تصحيح الكتب العلمية.
- ازدهار الزخرفة الكتابية والتألق في روائع الخطوط وانعكس ذلك في المصاحف السعدية الأربعة:
  - مصحف الأميرة الست مريم كريمة السلطان محمد الشيخ.
  - مصحف الأمير محمد بن عبد القادر بن السلطان محمد الشيخ.

[1] محمد المنوني، المرجع السابق، ص 50- 51- 75- 78.

- مصحف السلطان عبد الله الغالب بن السلطان محمد الشيخ.
- مصحف السلطان أحمد المنصور الذهبي بن السلطان محمد الشيخ.

- الكتابة بمداد فائق من العنبر المتمهد بالسقي بالعبير المحلول بماء الورد والزهر، وينشق بسحيق الذهب الخالص.
- ومن مظاهر التفسير إنشاء ديوان خاص بالمسفرين عند باب القصر الملكي.
- لم يتم ذكر مصانع الورق في هذا العهد وكان الورق يستورد من فرنسا، والرق لم يعد مستخدما ويؤكد ذلك المصاحف السعدية الأربعة سابقة الذكر التي كتبت على الورق.

وينقسم النساخون في هذا العصر إلى صنفين اثنين هما:

- وراقون دون أن يختصوا بمركز معين.
- وراقون اختصوا بمركز معين مثل: الزوايا.

المطلب الثالث: العصر العلوي.

أ- العصر العلوي الأول (1075- 1171 هـ):

عرف هذا العصر حياة الاستقرار وانتعاش الحركة العلمية وتبعتها الحاجة الملحة إلى الكتب ولم تكن الطباعة قد وصلت للمغرب فبرز دور النساخة وزادت أهميتها لظهور الرغبة في تأسيس خزانات جديدة للكتب على المستويات الحاكمة من جهة والميسورين المثقفين من جهة أخرى، وكذلك على مستوى الزوايا، فظهر وراقون مختصون وتبع وجود طبقة الخطاطة وجود طبقة المصحفين للمنسخات[1] والزخرفين لها والخرجين للمؤلفات من المبيضات والتعليقات، كما حافظت على تنوع خطها.

ب-العصر العلوي الثاني (1171- 1204 هـ):

من أهم ما ميز هذه المرحلة

- الوراقة الرسمية:

[1] محمد المنوني: المرجع السابق، ص 83- 113- 139.

- وفرة أعداد المنتسخات وسرعة العمل.
- خضوعها لمنهجية محددة.
- اعتماد النقل من الأصول الجيدة.
- العناية بالمقابلة والتصحيح.

- الوراقون في المنتسخات السلطانية:
  - وراقون نساخون.
  - مصحفون أو مشرفون.
  - الزخرفة أو التنويع في الكتابة.
- الوراقون غير الرسميون:
  - وراقون نساخون.
  - وراقون مزخرفون.

ت-العصر العلوي الثالث (1204- 1276 هـ):

- تابعت الوراقة المغربية مسارها واضطلع الوراقون بمهمة النساخة للمؤلفات على تباين موضوعاتها، وقد تضافرت الجهود من الجهات الرسمية على مستوى نخب من الأعيان ومن طرف الأفراد وكان الحدث البارز بين هذه الجهود هو:
- محاولة بعث قواعد الخط المغربي جاءت المبادرة من أبو حفص عمر بن المكي بن الشيخ المعطي الشرقي العمري من منطقة تادلا من مدينة يجعد.
- كما نجد تمام الكتابة أبوابها وفصولها ورؤوس الكلام منها بالألوان ؟؟؟؟ واللازورد* والتراجم بالذهب لمن استطاع[1].

ث-العصر العلوي الرابع (1276- 1330 هـ):

* اللازورد: حجز أزرق تلون بمحلوله المصاحف الشريفة والمنتسخات ذات الأهمية (أنظر: محمد المنوني، المرجع السابق، ص 170).

[1] محمد المنوني، المرجع نفسه، ص 139- 165.

من ملامح ازدهار الوراقة في هذا العصر وفرة دخل الوراقين من النساخة وفي هذه الفترة وصلت المطبعة الحجرية للمغرب وتمركزت في فاس المدينة التي لمع فيها وراقون مطبعيون اضطلعوا بنسخ المؤلفات المنشورة بهذه المطبعة وانقطاع إنتاج الكاغد المحلي وصار الاعتماد على الورق المستورد من أوربا أما أدوات الوراقة فلازال منها قليل مثل قلم النحاس في متحف البطحاء الذي صنع سنة 1284 هـ ومن المنتجات الحسنية كتب الصنعة الكيماوية والتي انتسخ منها مجموعة ضخمة دبجها الوراقون المغاربة.

ج- العصر العلوي الخامس (1330- 1346 هـ):

حضيت الوراقة في هذا العصر بمزاحمة الطباعة العربية المحلية والوافدة، وكذا المستجدات في أدوات الكتابة، بالإضافة إلى الحماية الأجنبية وسياستها أثرت سلبا على الوراقة حيث أسرفت في استخدام الحرف الأجنبي بديل على الحرف الوطني خصوصا في الإدارة والمدرسة العصرية، وضيق الخناق على الخط العربي وانحصر، إلا أنه يحمد لهؤلاء النساخين أنهم حافظوا على الطابع الأصيل لمهنتهم مع مر الزمن، واستمر الخط العربي في الحفاظ على جماليته في سائر أنواعه وترسخ في بعض المدن والأرياف.

إلا أن المؤسف أن الشباب المغربي عدل عن الخط المغربي إلى الكتابة بخط لا هو مغربي ولا هو مشرقي هي نكسة استنكرها شيوخ الوراقين[1].

المبحث الثالث: صعوبة مهنة الوراقة وبديلها المعاصر.

المطلب الأول: الصعوبات التي تواجه مهنة الوراقة.

واجهت مهنة الوراقة صعوبات متعددة سواء قبل ظهور الورق أو بعده ففي المرحلة الأولى يمكن تلخيص صعوباتها في قول الجاحظ "... وكانوا الكتاب صفرا في الصخور ونقشا في الحجارة، وحلقة مركبة في التبيان، فربما كان الكتاب هو الناشئ، وربما كان الكتاب هو الحفر، إذا كان تاريخا لأمر جسيم أو عهدا لأمر عظيم أو موعظة يرتجى نفعها أو إحياء شرف يريدون تخليد ذكره أو تطويل مدته".

[1] محمد المنوني، المرجع السابق، ص 229- 275.

واستمرت هذه الصعوبة بعد ظهور الورق، حيث كانت توضع شروط تقيد الوراق وتصعب من عمله، وتتمثل معاناته في:

- **معاناة استقطاب الزبائن:** حيث اشتغل الكثير بالوراقة كمهنة للتكسب والبعض منهم يلجأ إلى الإهداء في كتاباته قبل بدء عملية النسخ من أجل استقطاب الزبائن مثل ما قام به الجاحظ حيث أهدى بعض كتاباته إلى زبائنه، ونال الدنانير حيث قال: "أهديت كتاب "الحيوان" إلى محمد بن عبد الملك فأعطاني خمسة آلاف دينار...".
- **معاناة تكاليف الحكام:** حيث كان الحكام يكلفون الوراقين ببعض التكاليف عن طريق وزائهم وكان من أسباب السآمة عند الوراقين وعدم تحفيزهم من قبل الحكام أو وزرائهم، ومن ذلك ما ذكره ياقوت الحموي إن الفتح بن خاقان، وزير المتوكل كتب إلى الجاحظ كتاب يقول في فصل منه: إن أمير المؤمنين يجذبك ويهش عند ذكرك، ولولا عظمتك في نفسه لعلمك ومعرفتك لحال بينك وبين بعدك عن مجلسه، ولفصك رأيك وتدبيريك فيما أنت مشغول به ومتوفر عليه، وقد كان ألقى إلي من هذا عنوانه[1].
- **المعاناة من سوء الخط:** كان الكتاب والوراقون يعتنون بخطهم، وقد شكلت مسألة سوء الخط مرارة في حياتهم، حيث أنها مجلبة بسوء ومصيدة والهجاء، فهي مسألة سعي كبار الكتاب لمعالجتها، فأفرد أبو بكر الصولي باب لهذه المسألة كي يتمكن عموم أدباء عصره للتخلص من المشكلة.

المطلب الثاني: بديل الوراقة المعاصر.

إن من الظواهر الثقافية البارزة في عصرنا وجود مؤسسات تعنى بـ تبني الكتب وطباعتها والسعي لإيصالها إلى أيدى القراء، وقد أطلق على هذه المؤسسات اسم دور النشر.

وما تقوم به دور النشر اليوم هو ما كان يقوم به الوراقون قبل اختراع آلة الطباعة حيث كان الوراق يشرف على صناعة الكتب وتوفيرها للراغبين فيها من علماء وطلبة وعامة

[1] عبد الله بن عبد المعطي مقاط: الوراقون وأثرهم في الحديث، رسالة ماجستير، 2015، ص 112- 114.

الناس، لكن مع فوارق هامة بين الوراقة ودور النشر من حيث السرعة والكمية وما يتوافر من الكتب وكذا السعر.

فبعد توفر الورق وانتشار الطباعة في أنحاء المعمورة، زاد نسخ الكتب توفرت في أيدي طبقات الناس بعدما كانت حكرا على فئة معينة. والمتتبع للطباعة في عصرنا الحاضر وما تألقت به من نشر الكتب ونسخها وتجليدها وتلوينها أمر ممتع ومفيد يزرع عند الباحث المتابع لتسلسل مهنة الوراقة أن الحضارة الإنسانية في ازدهار دائم.

للطباعة فوائد جليلة ومنافع عديدة إذ بها نشرت العلوم الحديثة، وصار أفقر الناس في عصرنا يقتني من الكتب والأسفار ما ليس في إمكان أغنى أغنياء القرن 13 م والذي قبله أن يقتني عشر معشاره ولقلة الكتب وندرة وجودها وغلاء أثمانها[1].

فزدتك في نفسه زيادة كف بها عن تجشيمك، فأعرف لي هذا الحال واعتد هذه المنة واعكف على (كتاب الرد على النصارى). وأفرغ منه، وعجل به إلي، وكن من جدا به على نفسه لتنال مشاهدتك وقد استطلقته لما مضى، واستسلفت لك لسنة كاملة مستقبلية.

- **معاناة إعالة الأسرة:** من أصعب أشكال المعاناة أن يكون للوراق أسرة ولا يستطيع أن يعولها، فيقع في حيرة من أمره بين إشباع أهله وبيع كتبه وبين التمسك بكتبه وإجاعة أهله، ويذكر ياقوت الحموي يذكر أن إبراهيم الحربي كان لا يبيع ما ينسخ من كتب وكان له زوجه وبنات ولا يستطيع أن يطعمهم حتى قالت له زوجته: هب أني وإياك فكيف نصنع بهاتين الصبيتين فهات شيئا من كتبك حتى نبيعه أو نرهنه، قال إبراهيم فضننت بذلك وقلت اقترضي لهما شيئا، وانتظري بقية اليوم والليلة وكان لي بيت في دهليز، أداري فيه كتبي، فكنت أجلس فيه للنسخ وانتظر فلما كانت تلك الليلة إذا داق بدق الباب، فقلت من هذا فقال: رجل من الجيران، فقلت أدخل، فقال أطفئ السراج حتى أدخل، فكتبت على السراج شيئا، وقلت أدخل، فدخل وترك إلى جانبي شيئا وانصرف، فكشفت عن السراج ونظرت فإذا منديل

[1] عبد الله عبد المعطي مقاط، المرجع السابق، ص 119- 122- 125.

له قيمة وفيه أنواع من الطعام وكاغد فيه خمسمئة درهم، فدعوت الزوجة وقلت أنبهي الصبيتان حتى يأكلوا، ولكا كان الغد قضيتنا دينا كان علينا من تلك الدراهم.

- **معاناة صعوبة المهمة ومشتقاتها:** أمضى معظم الوراقين حياتهم في الكتابة فتشققت الأيدي وتعبت الأكتاف، وانهمرت العيون بالدموع لما قاسوه وعانوه، سئل وراق عن حاله فقال: "عيشى أضيق من محبرة وجسمي أدق من مسطرة، وجاهي أرق من الزجاج، ووجهي عند الناس أشد سواء من الغفص[1].

كثرت الكتب وانتشرت بواسطة الطباعة في هذا القرن، فكم من كتاب جليل كثير النفع عظيم الفائدة، كان فيما سلف في زوايا النسيان انتشر اليوم بفضل الطباعة وتناولته الأيدي واستنارت بنبراسه، وتم من موسوعات العلوم كانت فيما سبق باهضة الأثمان، لا يتمكن من اقتناؤها إلا الأثرياء والملوك، فكان الفقير يتحسر ويذوب شوقا إليها فلا يمكنه شراؤها لقلة ما في يده [2].

خاتمة:

من الصعب تحديد ظهور صناعة الوراقة أو ربطها بشخص معين إلا أن مصطلح الوراقة والوراقون لم تنتشر إلا بعد وجود الورق.

وقد انتقلت الوراقة إلى بلاد المغرب عن طريق القيروان ومراكش خلال القرن الثاني الهجري، وظل المخطوط العربي محدود بمادتي البردي والرق حتى شيوع الورق وبذلك انتقل المخطوط من عصر البردي إلى عصر الورق ودخل مرحلة جديدة من مراحل نموه وتطوره التي امتازت بكثرة الإنتاج ووفرته وسهولة تداوله.

كما تطورت الوراقة الذائقة الفنية عند الوراقين في تجويد الخط العربي وفن الزخرفة لتصبح بذلك اللغة العربية لغة فن وعلم معا، فالوراقة جمعت بين الحرفية والإبداع لتعطي للثقافة العربية الإسلامية قيمة علمية وأدبية وجمالية وفنية، كما أنها تحولت إلى مصدر معاش لكثير من النساخين وحافظت على تراث الأمم القديمة من الضياع، وبلغت الكتب

[1] عبد الله عبد المعطي مقاط، المرجع السابق، ص 117.
[2] عبد الله عبد المعطي مقاط، المرجع السابق، ص 125.

مكانة مرموقة وصار لها قواعد وفنون للاستخدام، وبهذا الفعل الحضاري تطورت أداة رئيسية من أدوات الاتصال والمعلوماتية التي انتقلت من الأندلس ومقلية إلى فرنسا وإيطاليا ومهدت الطريق لاختراع المطبعة في القرن 15 م.

فالوراقة جاءت تابعة لقوة الدولة واتساع الحضارة، والوراقين كان لهم مكان مرموق في الأمصار الحديثة فهم بمثابة المطابع الحديثة مهمتهم موزعة بين الانتساخ والتصحيح والتجليد والتهذيب وكل ما يمت إلى صناعة الكتب بصلة وهذا ما نجده في مقدمة ابن خلدون بقوله: "... كانت العناية قديما بالدواوين العلمية والسجلات في نسخها وتجليدها وتصحيحها.... وكان ما وقع من ضخامة الدولة وتوابع الحضارة وذهب العهد بذهاب الدولة وتقلص العمران بعدما كان منه في الملة الإسلامية بحر زاخر بالعراق والأندلس.... وجاءت صناعة الوراقين المعانين للانتساخ والتصحيح والتجليد وسائر الأمور الكتابية والدواوين واختصت بالأمصار العظيمة العمران".

.